المحاضرة الثانية: الرواية الإنجليزية في القرن 19

مل الناس من الطريقة الكلاسيكية العقلانية في الكتابة واتجهوا إلى السريالية والطبيعية والمعالجة النفسية والعاطفية وكل ما هو غير واقعي وبدأوا يحنون لقصص (الرومانس) القديمة (التي تتحدث عن الفرسان)، كما تأثروا بالكتابة الشعرية التي تميل للعاطفة والابتعاد عن العقلانية مثل ما كتب لورانس ستارن (1713 . 1768) . في روايته التي عرفت sentimental romance ، فكتب بطريقة جديدة في الشعر والرواية.

تعد هذه من الارهاصات الأولى لظهور نوع جديد هو فن القوثيك (الرواية القوطية) وهي التي تعد شكلا متطرفا من المدرسة الرومانسية أو الرومانتيكية، نشأت في أواخر القرن الثامن عشر في أوروبا كرد فعل ضد الثورة الصناعية، والقواعد الأرستقراطية الاجتماعية والسياسية في عصر التنوير والادراك العلمي للطبيعة، التي تشكل جميعها مكونات الحداثة، وقد حذت الرواية القوطية حذو المدرسة الرومانسية في الاهتمام بالمشاعر والعواطف والنزعة الفردية، لكنها أضافت لمستها الخاصة المظلمة والمشؤومة فتتسم بجو مظلم قاس مليء بالأشباح والجنون والخرافات، وقد أطلق على الرواية القوطية ذلك الاسم لما تحفل به من مبادئ وأطلال تعود إلى القرون الوسطى، مثل القلاع والأديرة التي تحتوي على الممرات تحت الأرض، والشرفات المظلمة والحوائط المزيفة، والأبواب السرية، وإن نظر للرواية القوطية على أنها غارقة في ذلك الجو المظلم إلا أن غيرهم أشادوا بها من حيث العناصر الخيالية والعاطفية التي تزخر بها ومن أشهر الروايات: قلعة تورنتو The Castle of Otranto لهوراس والبول HoraceWalpole سنة 1764، والتي اعتبرت البادرة الأولى للرواية القوطية، تتحدث قصة قلعة أوترانتو عن الأمير مانفريد وعائلته التي تتكون من زوجته هيبوليتا وأولاده كونراد وماتيلدا حيث تبدأ القصة في يوم زفاف كونراد ابن مانفريد والأميرة إيزابيلا ومع ذلك لم يتم عقد الزفاف، لأنّ كونراد حصل له حادث مؤلم حيث سُحق حتى الموت بخوذة عملاقة سقطت على رأسه قبل لحظات من زفافه، وكان من بين الحشد المجتمعين في الزفاف فلاح شاب وسيم يدعى ثيودور.

يخطط مانفريد لطلاق زوجته هيبوليتا على أساس أنها فشلت في إنجابه الوريث المناسب، كما يقرر الزواج من أرملة ابنه إيزابيلا بنفسه، وعلى الرغم من حدوث أشياء غريبة في القلعة كإشارة لمنع زواجه من أرملة ابنه إلا أن ذلك لم يردع عن خطته الزواج من إيزابيلا، وعندما أخبر مانفريد إيزابيلا برغبته الزواج منها شعرت بالرعب وهربت إلى ممر أسفل القلعة.

وهناك قابلت السجين ثيودور الذي هرب حديثًا من الخوذة حيث يساعدها في الهروب إلى دير قريب، وعند معرفة مانفريد بهروب إيزابيلا يصيبه الجنون ويقوم بتوجيه جنوده للبحث عنها، ويستمر البحث عن إيزابيلا حتّى يواجه

مانفريد ثيودور في قبو القلعة، وعندما يسأل مانفريد عنها يقول ثيودور إنّه ليس لديه علم بمكان إيزابيلا، لكنّ جنونه وغضبه لازال مستمراً.

وبعد فترة تسمع ماتيلدا ابنة مانفريد غناء ثيودور المحزن داخل سجنه، ثمّ تذهب لتتحدث معه وتستمر بلقائه لفترة وجيزة وتعجب بتقواه وقوته، وتتساءل عما إذا كان يمكنها مساعدته، في تلك الأثناء كان ثيودور يفكر بإيزابيلا وما حدث لها ويتساءل هل هي بخير أم لا، وفي أحد الأيام يصل الأب جيروم من الدير وهو صديق ثيودور ويؤكد لمانفريد سلامة إيزابيلا.

ثمّ يخبره أنّ خطة مانفريد لطلاق زوجته والزواج من الفتاة الصغيرة تسيء إلى الديانة المسيحية والأخلاق، وبعد سماع مانفريد هذا يأمر مانفريد بإعدام ثيودور وبينما كان ثيودور في طريقه لساحة الإعدام كان يخلع قميصه، وعندها ظهرت علامة أسفل كتفه، وعلى الفور تعرف الأب جيروم على العلامة الموجودة أسفل كتفه ويصرخ امام الجميع بأنّه ابنه الذي فقده منذ سنوات بعيدة.

ويدعو مانفريد الفارس الغامض الذي لم يرى وجهه إلى القدوم والتحدث معه وعند سؤال الفارس الغامض أين هي إيزابيلا لم يجبه مانفريد وتنتهي المحادثة بينهم دون نتيجة ويعود الفارس للبحث عن إيزابيلا بعيداً عن قلعة مانفريد وفي غضون ذلك أمر مانفريد بإعادة ثيودور لسجنه، وبعد أيام تقوم ماتيلدا بتحرير ثيودور من سجنه وتساعده في تسليح نفسه والهروب من القلعة.

يجد ثيودور بعد هروبه إيزابيلا في الغابة ويخفيها في كهف متعهداً بحمايتها، ثمّ بعد فترة يصل الفارس العظيم ويطلب الفتاة، لكنّ ثيودور الذي يعتقد أنّه من طرف مانفريد يرفض تسليمها له ويدخل الأثنان في معركة كبيرة حيث أصيب الفارس بجروح خطيرة، وعندها يخبر ثيودور إنّه فريدريك والد إيزابيلا، ثمّ يقول أنّه يُفترض أنّه مات في الأرض المقدسة، وعند سماع هذا تبكي إيزابيلا عليه.

ويساعدها ثيودور في إعادته إلى القلعة، وبعد عودتهم إلى القلعة يتم علاج جروح فريدريك ويقول الطبيب أنّها ليست خطيرة للغاية، ثمّ يزورهم مانفريد ويعمل على إقناع فريدريك والد إيزابيلا بالزواج من ابنته ماتيلدا بينما هو سيتزوج إيزابيلا، لأنّه ينوي الإبقاء على قلعة أوترانتو باسمه يشعر فريدريك بالقلق في البداية، لكنّه كان منجذب جدًا إلى ماتيلدا وبالتالي وافق.

ثمّ يخبر مانفريد زوجته هيبوليتا بالحقيقة حول خططه وكونها الزوجة المطيعة دائمًا لمانفريد تسعى للحصول على مشورة من الأب جيروم بشأن الطلاق، كما تخبر ابنتها ماتيلدا عن زواجها الذي خططه لها والدها من فريدريك

دون علمها، ولكن في هذا الوقت أدركت ماتيلدا أنّها تحب ثيودور وكانت مستاءة للغاية من خطط والدها، وفي صباح أحد الأيام أخبر أحد الحراس مانفريد أنّ إيزابيلا ستلتقي بثيودور في الكنيسة.

لذلك أخذ سكينًا معه وذهب لقتلها، ولكن لسوء حظه كانت ماتيلدا هي التي تقابل ثيودور، لكنّ مانفريد لم يعرف ذلك وقام بقتل ابنته بالخطأ، كانت تلك صدمة كبيرة وقد تردد صداها في الأسرة والمدينة كلها، وفي النهاية نُصب ثيودور ليكون الأمير الحقيقي لأوترانتو مع إيزابيلا، واعتزل مانفريد الحزين الحكم ليتوب عن فعلته.

لذلك تنازل عن الحكم وتقاعد عن كل شيء وتوجه إلى الدين والعبادة مع هيبوليتا، وأصبح ثيودور أميرًا ومتزوجًا من إيزابيلا، لأنّها كانت الوحيدة التي يمكنها فهم حزنه حقًا.

كما ظهرت روايات قوطية أخرى منها رواية ماثيو لويس Matthew Lewis (The Monk) سنة 1796، والرواية الثالثة هي لآن راد كليف Ann Radcliffe وهي (The Mysteries of Udolpho) سنة 1794. وقد تميزت الروايات التي كتبت من قبل النساء أنها كانت تحتوي على تفسيرات لكل شيء أما الروايات الرجالية فهم لا يفسرون الشيء الغامض بل يتركون النهايات كما هي، وان فسرت فتفسر تفسيرا عقلانيا.

أما عن ما يتعلق بالرواية فقد أرجع النقاد والدارسون أن بدايتها كانت مع الروائي دانيال ديفو عام 1719 عندما أصدر روايته روبنس كروزو، كذلك روايات مول لا فندرز عام 1722، ورواية رحلات غوليفر عام 1726 والتي عدلت عام 1735 وهي للكاتب الايرلندي ورجل الدين جونثان سويفت، وقد كانت هجاء للطبيعة البشرية وكذلك محاكات ساخرة لقصص المسافرين مثل روبنسن كروزو، وقد ارتبطت الرواية كنوع أدبي مهم بشكل عام مع نمو الطبقة الوسطى في إنجلترا، وقد شهد الخيال والأدب الإنجليزي في القرن 19 تحولات كبيرة حيث أصبحت الرواية شكلا ادبيا مهيمنا، أثرت الحركة الرومانسية على الكتاب لاستكشاف العواطف والفردية وما هو خارق للطبيعة ، كما ظهرت الواقعية مع التركيز على القضايا الاجتماعية والحياة اليومية التي تجسدت في أعمال تشارلز ديكنز ، وجورج إليوت، كما شهد العصر الفيكتوري صعود الكتابة النسائية، وظهور أنواع جديدة مثل الرواية البوليسية، وشكلت هذه التغيرات مسار الأدب الإنجليزي واستمر تأثيرها على الكتابة الحديثة.

وكان أعظم كتاب الرواية في العصر الرومانسي هما جين أوستين والسير ولتر سكوت، فقد كتبت أوستين عن حياة الطبقة المتوسطة في المدن الصغيرة، وفي منتجع باث المشهور، تتميز نساء أوستن في روايتها مثل الكبرياء والتحامل (1813)، وإما (1815) بالاستقلالية والذكاء.

أما ولتر سكوت فقد كتب روايات تقع حوادثها في مرتفعات اسكتلندا أو أدنبرة. إن سلسلة كتبه التي تسمى روايات ويفرلي هي في الواقع أول روايات تاريخية في الأدب الإنجليزي، وقد أعلن موت سكوت عام 1832 عن نهاية العصر الرومانسي.

وفيما يلي ملخصا يتضمن أعمال كوكبة من أدباء إنجلترا وهم أشهر أعلام الأدب الإنجليزي وأشهر الروائيين وهم: تشارلز ديكنز، والأخوات برونتي، وجورج إليوت: ويمكن الاطلاع على سيرة حياتهم من خلال الموسوعة العربية في المجلدات الثالث والخامس والتاسع.

يعد تشارلز ديكنز Charles Dickens واحدا من أكبر الروائيين الانجليز وأكثرهم شعبية يجمع في انتاجه الأدبي الهائل القدرة المتميزة على القص والدعابة والتهكم ورسم الصور المثيرة للتعاطف والنقد الاجتماعي الحاد، إضافة إلى دقة الملاحظة في تصوير الأشخاص والأماكن سواء أكانت واقعية أم متخيلة، ترسم رواياته صورا بانورامية تعبر عن تعاطفه مع الضعفاء في المجتمع وعرف أيضا بقراءاته لأجزاء من أعماله على المسرح إذ كان يدفع جمهوره إلى الضحك والبكاء، وما تزال مؤلفاته تلقى رواجا واسعا فهي تقرأ وتدرس وتمثل على خشبات المسرح وتصور في أفلام ومسلسلات، مما يؤكد التأثير المستمر لإبداعه ، تطورت روايات ديكنز من قصص ساخرة مبنية على شخصية مركزية إلى أعمال وثيقة الصلة بعصره فقد أظهر اهتماما واضحا بمشكلات المجتمع الحديث كما في (أوليفر تويست) التي صب اهتمامه فيها على تصوير الشر في الحياة الاجتماعية مع حفاظه على الروح المرحة التي يتميز بها ، وكان أول من رسم في كتاباته صورا دقيقة عن الحياة اليومية في المدن . ومن أحب الشخصيات لدى القراء الطفل المقعد تيم الصغير Tiny Tim في مواجهة البخيل سكرودج Scrooge ، الذي ينقلب سلوكه رأساً على عقب لتأثره بمعنى الأعياد، في ترنيمة عيد الميلاد»، وأوليفر في "أوليفر تويست" ونل الصغيرة Little Nellالمريضة في" دكان التحف القديمة" The Old Curiosity shop عام (1841) التي كان القراء يتابعون مصيرها من حلقة إلى أخرى برهبة وشوق كبيرين وكان الأمريكيون منهم ينتظرون على رصيف الميناء في نيويورك لتقصي أخبارها من المسافرين القادمين من إنكلترا، وكذلك شخصيات ديفيد كوبرفيلد David Copperfield (1849. 1850)، ونكولاس نكلبي Nicholas Nickleby عام (1839) وبيب Pip في الأمال الكبيرة»، التي تتضمن الكثير من شخصية المؤلف نفسه ويمكن عدها سيرة ذاتية، وتعاني هذه الشخصيات العوز والاضطهاد في طفولتها ثم تتطور إلى شخصيات ناجحة في حياتها عام العملية ولكن على حساب سعادتها. ظلت روايات ديكنز الأولى أكثر شعبية، وظل نقاده يعترضون في اول الامر على رواياته المتأخرة، مستهجنين فقدانها روح الدعابة ولجوئها المتزايد إلى الصور الرمزية والمتخيلة، ورغم أن ديكنز عاش في

عصر شهد تحولات حاسمة، إلا أنه كان قادرا على تمثيل عصره وتسلية قرائه في آن معا فترك أثرا واضحا في جيله والأجيال التي تلته.

أما الأخوات برونتي Bronte sisters فهن ثلاث كاتبات شقيقات إنكليزيات هم(شارلوت، وإملي جين، وآن) ، وقد عدت هؤلاء الكاتبات ظاهرة غريبة، إذ عشن في قرية منعزلة وهي هوراث Haworth في منطقة يوركشر Yorkshire ولم يتلقين أي نوع من العناية أو التشجيع لممارسة الأدب. وحين اكتشفت شارلوت في خريف 1845 أن أختها تكتب الشعر قامت بجمع الأشعار التي كتبتها الأخوات الثلاث وقدمتها للنشر كمجموعة مشتركة بعنوان " قصائد" وبأسماء رجال مستعارة لأن النقاد حسب رأيهن لا يتعاملون بجدية مع كتابات النساء، والأسماء المستعارة هي كورير وإيليس وأكتون بيل.

كانت حياتهن محدودة في البيت والمنطقة، عملن كمربيات ورعاية والدهن المريض، وقد تبين فيما بعد أن حياتهن كانت شبيهة بحياة البطلات اللواتي كتبن،

نمت البذور الأولى لروايات الاخوات برونتي بعد اختراعهن من أجل اللعب مع أخوهم باتريك مملكة خيالية هي مملكة انغاريا Angria وبعدها مملكة غوندال Gondal عندما استقلت كل من إملي وآن عن أختهما ، كانت الأخت الكبرى وهي شارلوت والتي ولدت في 21 نيسان عام 1816 ، قدمت في روايتها المرأة في صراعها بين رغباتها الطبيعية وبين شرطها الاجتماعي، وتعد روايتها (جين أير 1847 Jane Eyre) أهم رواياتها صورت فيها الحياة المنزلية ، ولها روايات أخرى تعتبر أقل إمتاعا من الأولى وهي : شيرلي وفليت والبروفيسور وقد نقلت في الأخيرة تجربتها كمربية في بروكسل.

أما الأخت الثانية فكانت إملي جين والتي ولدت في 30 آذار 1818 ، وكانت أقل عرضة من أختها في احساسها بإحساس التناقض بين الحلم والواقع، كتبت إملي الشعر ، وكشفت فيه عن روحانيتها المستقلة، مما كتبته إملي رواية مرتفعات وذرينغ عام 1847 Wuthering Heights تعد أول رواية إجتماعية ثورية ، ترصد الأحاسيس والتقلبات العاطفية الداخلية المتأتية من تخزين عميق للاحاسيس والأحقاد المخزنة، ويظهر تأثر إملي بالمسرحيات الفرنسية الاتباعية كمسرحيات شكسبير ، ويرى الناقد ديفيد ويلسون أن قصة هيتكليف وكاترين إيرنشو هي صورة رمزية للصراع الاجتماعي الذي كان دائرا في ايامها.

الأخت الثالثة هي آن Anneوالتي ولدت في 17 كانون الثاني عام 1820، وصفت أنها تقية وورعة ولطيفة، كانت تخضع أشعارها لامتحان الأخلاق والفضيلة الدينية، كتبت روايتها (أغنس غراي Agnes Grey)

وتتميز بهدوئها وواقعيتها وبالقوة الداخلية عند أبطالها، وكتبت أيضا رواية (نزيل قاعة ولدفيل The tenant of wildfell Hall) وتعرض فيها الحياة الفاسقة لشاب ثم سقوطه من خلال مبادئها الدينية الصارمة.

جورج إليوت Eliot George

جورج إليوت هو الاسم المستعار للكاتبة الروائية الإنجليزية هي ماري آن إيفانز Mary Ann Evans ولدت في قرية شيلفرز كوتن في مقاطعة ووركشر من أسرة محافظة من أتباع الكنيسة الميثودية(المنهجية) Methodist درست في مدرسة السيدة ولنغتون للبنات عام 1828 مرت جورج إليوت بالعديد من المحطات في حياتها بدءا بموت والدتها ثم انتقالها للعيش مع والدها إلى مسقط رأسها كوفنتري عام 1841 وتعرفها على بعض المفكرين الراديكاليين ومنهم شارلز هينيل صاحب كتاب (تساؤل حول أصل المسيحية) الذي نشر عام 1838 الذي ساهم في إعادة نظرها إلى المبادئ الدينية التي ربيت عليها ، وهو ما أدى إلى اضطراب العلاقة مع أسرتها وبعد موت والدها انتقلت إلى لندن وشغلت منصب رئيسة تحرير لدورية ذات اتجاه راديكالي ، وزاد هذا التوجه هو العلاقة التي ربطتها برجل متزوج هو جورج هنري ليوز ، مما جعلها في مواجهة مع المجتمع الذي يخضع لأعراف تمنع ذلك فكانت عرضة للنبذ في المجتمع الفكتوري ، وهو ما ادي كما أشار بعض الدارسين إلى استخدام اسم مستعار لرواياتها للهروب من الأحكام القاسية ، ومن خوفها من عدم التقبل كونها امرأة في المجتمع الذكوري الرافض للكتابة النسائية والمزدري لها.

من أبرز كتابات جورج إليوت (آدم بيد Adam Bede) عام 1859 تتمحور حول دور الكنيسة الميثودية في الطبقات الدنيا، وفي عام 1860 كان ميلاد روايتها الثانية (الطاحونة على نهر الفلوس The Mill on the Floss) ويظهر فيها تأثرها بالفكر الداروينى فتتناول موضوع معركة البقاء، وفي عام 1861 كتبت (سايلاس مارنر (Silas Marner التي تنطوي على موعظة أخلاقية، وقد كتبت جورج كتابة رواية تاريخية بعنوان (روموﻻ) 1863Romola وأخرى سياسية بعنوان (فيلكس هولت: الراديكالي: Felix Holt The Radical).

تكمن أهمية إليوت في إتباعها منهجا واقعيا في تصوير البيئة وفي تناولها للحياة الريفية وكشفها عن عادات الأهالي وطباعهم وانماط تفكيرهم وتطلعاتهم، والمحلاحظ ان رواياتها شديدة الحساسية ، ومفعمة بالانسانية البالغة، كما تكتسب أعمالها أهمية من تحليلها لأثر المناخ الاجتماعي في الشخصية واعتمادها التحليل النفسي الدقيق، تركز روايات إليوت بوجه عام على الصراع بين الواجب والرغبة الفردية، وعلى سلسلة النتائج السلبية المترتبة على أية اختيار خاطئ ، اعتمدت جورج من الناحية الفنية على تقنية الراوي الكلي المعرفة الذي يجمع خيوط الرواية بوعيه

الشامل ويتدخل عند اللزوم فيعلق على الأحداث والشخصيات، كما ساهمت إسهاما فعالا في جعل الرواية الإنجليزية تتعدى حدود الأدب الإنجليزي وترتقي إلى العالمية .

المعلومات المقدمة مأخوذة من الموسوعة العربية بأجزائها: الثالث والخامس والتاسع

تمت الاستعانة بمعلوما ت من الويكيبيديا حول الرواية الإنجليزية